المصاب العظيم * بوالدنا البر الرحيم

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

في يوم الاحد رابع رجب الحرام فجعنا بوفاة والدنا ومربينا ومربي اليتامى وكافل الارامل الشيخ الجليل ، السيد النبيل ، علي رضا الحسيني الحسني أحد سادات الديار الشامية المشهورين ، وأجواد الأمة المحسنين ، وله من السن ستون سنة أو ثلاث وستون سنة في الاكثر (وليس عندي هنا قيد لسنة ولادته) فصبرنا واحتسبنا رجاء صلوات ربنا ورحمته وهدايته ومثوبته فلم نقل ولم نفعل مالا يرضي ربنا جل جلاله فلله ما أعطى وله ما أخذ واليه المصير

ولد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه في قرية القلمون بسفح لبنان من الجهة الشمالية بجوار طرابلس الشام وفيها تعلم مبادي القراءة والكتابة ثم اشتغل بطلب العلم في طرابلس على المرحوم الشيخ محمود نشابه أشهر علماء الديار السورية وشيخ الشيوخ في طرابلس عدة سنين وأدى امتحان العسكرية فيها غير مرة ثم انقطع عن الطلب قبل أن يتم حضور الكتب ويصل الى مقام التدريس لشدة حاجة والدته اليه في ادارة أملاكه والنظر في أعماله مع الحكومة والناس فلم يكن يومئذ وله رشيد سواه ولكنه لم ينقطع عن المطالعة في كتب الدين والادب والتاريخ بل كان يتراوح بين هذه الكتب ما سمح له الوقت وكان قوي الذاكرة طلق اللسان جري، الجنان يذكر ما يحفظ من الاشعار وأخبار الاوائل ووقائع الاواخر كلما عرض ما يذكر بشيء منها ولكنه كان يعيد الشيء المحفوظ كما قرأه أول مرة فان اتفق ان كان محرفاً أو ملحوناً أعاده كذلك عند الاستشهاد به غالباً وان عرف بعد حفظه بما فيه من خطأ أو تحريف كأن ما ينطبع في ذهنه لا يقبل المحو وكأن ما يعرض بعد ذلك من التصحيح ينطبع في مركز آخر من مراكز الدماغ فلا يلقيه إلى اللسان إلا اذا ورد المحفوظ لاجل بيان صحته . ومن قوة ذاكرته أنه كان يحفظ كل ما مر به في سفره وحضره وكل ماله عند الناس أو لهم عنده من الحقوق المالية وان طال عليها الزمان

وكان مهيباً وقوراً محقوقاً في طور الشباب يجله كل من جالسه وان كان أكبر منه

سناً أو فضلاً وجاهاً كنا يجده وكبار الحكام. وأعرف ما عرف به وغلب على سائر أخلاقه الجود والسخاء فقد كان مضيافاً متلافاً مبذول القرى لكل طارق من غني وفقير وقريب وغريب ومسلم وغير مسلم فكل من نزل به يلقى ما يليق به من الاكرام والحفاوة وكان في أول العهد يتكلف لاهل الوجاهة والثروة اذا استضافوه زيادة عما جرت به العادة في المنزل ويقدم لغيرهم ما راج حتى كنا ننكر عليه ثم رجع عن هذا الى قاعدة الصوفية «لا تبخل بموجود ، ولا تتكلف لمفقود» وربما أنكرنا ذلك أحياناً ، ولا حاجة لاستثناء ما لاهل الخصوصية الذين يدعوهم اليه من الاختصاص وانما الكلام في العادة اليومية مع الضيوف وقد بلغت عنايته بأبناء السبيل أنه كان يحمل الطعام اليهم بنفسه أحياناً وقد جاع الناس في سنة من السنوات فكان يرسل الدقيق والارز الى بيوت القانعين الذين يفضلون الموت على السؤال في حنادس الظلام والناس نيام وله في اخفاء الصدقة حذق غريب

أنعم السلاطين العظام على جدنا الثالث بسبع قراريط من مال عشر القلمون وما يتبعها من المزارع لينفق منها على مسجده الذي جدده في القرية وعلى نفسه فلما وصل هذا الى والدنا رحمه الله تعالى سكان في الغالب يأخذ من الحكومة حصتها بما يسمونه الالتزام ثم يسمح لاكثر الاهالي بشيء كثير مما يزرعون من البقول وغيرها وما يجنون من الثمار لا يبقى الا بشر حب الحصيد والزيتون وكان كثيراً ما يفوض اليهم أمر ما يجب عليهم من غير أن يخرص ويقدر يجيئه الرجل بشيء من الزيتون مثلا ويقول هذا عشر ما جنيت فيرضى ويعطيه الآخر شيئاً من النقد يزعم انه عشر ما استفاده من أرضه فيقبل ، وكنا نقول له يجب أن تضبط جميع مالك عند الناس ثم تأخذ ما شئت وتسمح بما شئت فلا يعجبه ، وكان كريماً بجاهه أيضا فاقصده بحاجة أو قدر على دفع مكروه اوجب منفعة للناس فانه يبذل جهده

وكان حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الاسلام والمناضلة عنه بما يحج المناظر ولا يؤذيه وانني منذ دخلت في سن التمييز أرى في دارنا وجهاء النصارى من طرابلس ولبنان بل وأرى فيها القسوس والرهبان لا سيما في أيام الاعياد وأرى الوالد رحمه الله تعالى يجاملهم كما يجامل من يزوره من

الحكام ووجهاء المسلمين ويذكر مايعرف من محاسنهم في غيبتهم بكل إنصاف وقد كان هذا من أسباب دعوتي الى التساهل والوفاق وتعاون جميع أهالي البلاد على ما يرقي البلاد مع القسط والبر المشروعين فان الانسان اذا تربى على شيء ورأى ثمرته في نفسه وفيمن يعاشر كان أعرف بفائدته لاتقلل فكره ووجدانه فيه

وكان شديد الغيرة على الدولة العلية وقد عرف كثيرين من وزرائها وعظمائها كالمرحومين شروائي باشا وحمدي باشا اللذين وليا الصدارة وولاية سورية وكامل باشا والي أزمير اليوم والصدر الاعظم من قبل وجميع متصرفي لبنان السابقين وغيرهم فكان لاجلالة لهؤلاء واعتقاده بحسن سياسة أكثرهم كبير الامل في الدولة ولا أعلم انه صدر منه قول ولا فعل ينافي الاخلاص للدولة والسلطان المعظم وكان يحز على الجواسيس للمسلمين أن يأخذوا من أقواله مايشون به عليه الا أن يكون حسن ذكر ماسروقتاه على اميرها الماضي وأميرها الحاضر وقد زارهما في أيامهما على أني عرضت عليه عند ما زار مصر في سنة ١٣١٧ أن أستأذن له في زيارة الامير فلم يرض ومع هذا كان يملأ الانديه ثناء على سموه وعلى الاستاذ الامام وكذا على صاحب المؤيد الذي عرفه هنا.

وأما اتهامه بالسياسة في هذا العام، وجعله تحت المراقبة الى أن وافاه الحمام، فسببه وشاية من مصر فيه الى السلطان بأنه من أعوان مريدي إقامة الخلافة العربية (الوهومة) على انه منذ سنين لم يفارق القرية فهل تقلب الدول وتؤسس الممالك من شيخ مريض في قرية لازعماء فيها ولا ثروة ولا سياسة ولا حكومة ولا مدارس؟؟

وأن تعجب فعجب عجاب ان تهتم الدولة بأمر الشيخين — الشيخ محمد عبده والسيد علي رضا — وتأخذ الحذر منهما بعد ان نزل بهما مرض الموت وأعجب من هذا ان يبقى هذا الحذر على أشده بعد موتهما فان كانا قضيا عمرهما ولم يحفظ عنهما قول ولم يعرف لهما فعل يؤذي الدولة فهل يخشى من رفاتهما في القبر أن يقلب دولة ويؤسس دولة؟ يالله الخجل، من تلاعب سفهاء الجواسيس بالدول، الحق أقول اني كنت شديد الميل الى البحث في خلل الدولة وبيان طرق إصلاحها وما منعني من الاسترسال في ذلك الا الشيخان اعلم ان والدي يستاء إن كتبت مالا يرضي الدولة وأستاذي كان ينهاني عن الكتابة في السياسة مطلقاً

وكان الوالد تغمده الله برحمته متصفا بكمال الصبر في المصائب ابتلي بمرض الصدر

المعروف بالربو وهو في شبابه فكانت النوبة تشتد عليه أحياناً حتى يمنعه الزفير من النوم والكلام المتصل فلا تراه الا حامداً شاكراً ، وكان فخوراً بنسبه الى البيت التيموري خلافا لما عليه أسرتنا من البعد عن الفخر ، وكان سنيا شافعي المذهب ويميل الى الشيعة الا انه يعظم الشيخين والسيدة عائشة ويقول في معاوية « لا أسبه ولا أحبه » ويحمي على غير الصحابة وعمر بن عبد العزيز من بني أمية إنحاء شديداً ، وقد كان يقرأ في كتاب أمام استاذه الشيخ محمود شنابه فجاء ذكر معاوية فقال له الشيخ لم لم تقل « سيدنا معاوية » قال الوالد « سيدكم معاوية » قال الشيخ ألا تعترف بالسيادة لصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي ؟ قال اني لم أنكر صحبته ولا كتابته للوحي ولكن أقول انه لا سيادة لاموي على هاشمي : فسكت الشيخ رحمه الله تعالى وكان الشيخ يحترمه حتى كان يخاطب جميع تلامذته ويذكرهم بأسمائهم ولا يذكره الا بلقب السيد

وكان طيب الله ثراه سليم القلب بريئا من الحقد والحسد بعيداً من الايذاء والانتقام الا انه كان يحتقر من عاداه بقدر ما يتودد لمن والاه ، فلا يعرف الدهان والتملق وكان باطنه خيراً من ظاهره لاعدائه وأحبائه فمهما أعرض عن عدوه وازدرى به في الظاهر لا يستحل أن يؤذيه في الباطن واني لا أستحي أن أصف ما امتاز به في معاملة الاصدقاء لئلا يشتم منها رائحة المنة على أحد منهم مع أنه كان يرى لهم المنة اذا حكموا في ملكه حكمه فيه

وجملة القول ان مزاياه كثيرة وفضائله عظيمة ولا بدع فان البيت الذي نشأ فيه يندر ان يوجد مثله في هذه الامة الآن في سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق وحسن الفعال واني والله لم أحكم هذا الحكم الا بعد الاسفار وطول الاختبار ، بل أقول ان قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالخير والخير بالعفة والشجاعة والتقوى والاخذ بالسنن والبعد عن البدع وانما كانت كذلك بوجود بيتنا فيها اذ لا يخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهذيب للعامة واستعداد أهلها للعلم عظيم وكلهم في الاصل شرفاء النسب مشهورون بالسيادة وقد كتب في سجل الاحصاء العام للدولة المودع في الباب العالي المسير عنه بالدر كنار « القلامون سيدة القرى والمزارع » ثم صار فيها

وخلاء كثيرون أكثرهم من مسلمي لبنان وأكثر مايقع فيها من المخالفات الضرب وسرقة الثمار وفق الله أهلها وتاب عليهم انه هو التواب الرحيم

ومما كنت أنكره على الوالد عفا الله عنه بعد ماعرفت طرق التربية الحديثة وقرأت علم الاخلاق اختيار الشدة والترهيب في التربية فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب مؤاكلته ومكالمته والاتكاء أمامه . وكان يعاقبنا على الذنب بالاعراض والهجران حتى نتوسل اليه بأن يرضى . وقد صار في أخريات سنيه يمازح أولاده الصغار ويجمعهم على الطعام ذكرانا واناثاً اذا اتفق خلو البيت من الضيوف وكان يوصينا دائماً بالخوف من الله تعالى دون سواه . عفا الله عنه وأحسن اليه ورحمه رحمة واسعة بمنه وكرمه وأحسن عزاءنا عنه وثوابنا فيه

نعيه الينا وتعزيتنا عنه

توفاه الله عن ستة ذكور أكبرهم صاحب هذه المجلة (المنار) ومنهم ثلاثة يشتغلون بالعلم في الازهر وواحد في السجن منهم بالسياسة وهو منها بريء وبها جاهل ولها غير مستعد وواحد في القرية لاغناء به . وقد كتب الينا أحد علماء سوريا الاعلام في التعزية مانصه :

«إنا لله ، ولاحول ولاقوة الا بالله ، مصاب بعد مصاب ، وخطوب تذهل الالباب ، لقد جلت الرزية ، وفدحت المصيبة ، وتضاعف الاسف ، وتجددت الاحزان ، بوفاة السيد السند الكريم ، الوالد البر الرحيم ، الذي فجع به الفضل والكرم ، ورزىء به المجد والشرف ، وإنما غار الله له ، فاختار له ماعنده ، فنقله من دار المحن والسجن ، الى دار الكرامة والمنن ، وأنقذه من أرادوا به كيداً ، وأمهلهم رويداً ، وسوف يأخذهم عذاب يوم شديد ، ان ربك فعال لما يريد ، وان من أعجب مثلك أيها السيد الكريم فهو حي باق أمد الدهر ، لايموت له ذكر ولاينقطع له أجر ، بل طوبى له وقرة عين ، لاسيما بجوار سيد الكونين ، تغمده الله برضوانه وعظيم رحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، وأحسن عزاءكم عنه جميعاً ، وأنزل عليكم السكينة والرحمة ، وأسبغ عليكم النعمة والمنة ، وضاعف لكم الاجر ، وأفرغ عليكم جميل الصبر ، إنا الى الله راغبون ، ومثل هذا المصير صائرون ، أسأله تعالى أن يعوضك وأشقاءك عنه خيراً ويعوضنا بطول حياتكم الخ

وكتب آخر من أهل العلم والادب هناك معزيا عن الاستاذ الامام والسيد الوالد وأعزي السيد أطال الله حياته عن رزأيه بأبويه، ومصيبته في والديه، وما أجلهما من رزئين عظيمين، وخطبين جسيمين، فأما رزء فقد أصيب به الاسلام كله، وبكى له العالم بأسره، وانطمس لاجله نور العرفان، وغيضت ينابيع الفضل، وهيضت أجنحة النهضة، وانقطع به ما اتصل من الآمال، واختل ما انتظم من الاعمال، وأما رزء فقد ذبل له روض الكرم، وهوى نجم الشرف، وسقط عمود المجد القديم، والحسب الصميم، فأحسن الله عزاء السيد عنهما، بما يرثه منهما، من المجد الذي لا يضاهى، والعلم الذي لا يتناهى، ان شاء الله تعالى، الخ

وكتب غيرهما من أهل الفضل والوجاهة في تلك البلاد والكلام كله في سياق واحد فنشكر لكل واحد فضله، ونكتم خوف الظلم اسمه وبلده، أما الجرائد السورية فلم تكتب شيئاً عن وفاة الشيخين لانها لا حرية لها فهي تخاف ان تكتب ثم انها سلمت من الضرر فلا يؤذن لها في النشر

ولما بلغ نعيه هذه البلاد كتبت الجرائد اليومية الشهيرة ما كتبت، وألقى الينا البرق والبريد من رسائل المحبين في التعزية ما ألقى، قالت جريدة الاهرام في العدد ٨٣٥٢

ورد من طرابلس الشام نعي الشيخ الجليل السيد علي رضا والد حضرة العلامة المفضال السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية

توفي الى رحمة ربه في يوم الاحد الماضي وهو في نحو الستين من عمره تاركاً في دنياه أحسن ذكر مقدماً للآخرة أعمالا طيبات فعز المصاب به على آله وطارفي فضله ونبله اذ كان الرجل وجيهاً في قومه رحب الصدر طيب الخلق مضيافاً كريماً ما زار القلمون زائر الا وكان في منزل الفقيد كانه في منزله ولا يذكر لهذا البيت الكريم من قديم الزمان حتى اليوم الا كل مأثرة طيبة وفضل ونبل

وقد شيعت جنازته في بلدته القلمون بمشهد كبير يليق بمقام هذه الاسرة الحسيبة الشريفة فنحن نعزي حضرات أنجاله الكرام وآله الافاضل على فقده سائلين له الرحمة والرضوان ولهم العزاء والصبر الجميل

وقالت جريدة الظاهر في العدد ٥٤٨

بلغنا بمزيد الاسف انتقال فضيلة الحسيب النسيب والعالم الفاضل السيد علي رضا الحسيني من أعيان طرابلس الشام وأشرافها الى رحمة الله تعالى ورضوانه نهار الاحد ٤ رجب عن عمر ناهز الستين قضاه في البر والافادة وعمل الخير أثر مرض حارت فيه الاطباء في بلدته القلمون فكان لفقده رنة أسف عظيمة في البلاد السورية لما له من سمو المكانة وعلو القدر وشرف الاصل وعميم الاحسان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

وقالت جريدة المقطم في العدد ٥٠٠٢

ورد على حضرة العالم الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار نعي المرحوم والده الجليل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها توفاه الله يوم الاحد الماضي (٤ رجب) في القلمون عن ستين عاماً قضاها في عمل الخير والصالحات وهو من بيت مجد موصوف بالكرم وحسن الضيافة ومعروف في لبنان وولاية بيروت . وقد خلف ستة أولاد وكلهم من النجباء وأكبرهم حضرة الشيخ رشيد المشار اليه آنفاً

وقد لقي الفقيد رحمه الله من اضطهاد الحكومة الحميدية وظلم عمالها وقسوتهم ما اضناه وعجل عليه بالوفاة فقد كان يحتضر والعساكر العثمانية ملازمة باب داره ليلا ونهاراً خوفاً من ان ينهض من فراش الموت ويخلع السلطان أو يثل عرش آل عثمان في حكم عقلاء هذا الزمان وابنه المدبر أمور بيته في غياب اخوته مطروح في سجن طرابلس الشام حيث يتقلب على جمر العذاب ريثما تمثل المحكمة أمر الظالمين وتحكم عليه بالعقاب . وكل هذا الجور والظلم بناء على وشايات قوم يبغضون صاحب المنار ويحقدون على فقيد الوطن المرحوم الشيخ محمد عبده . فاجتمع الشيخان الجليلان الآن امام عرش العادل الديان يدعوان الى قاهر العتاة ومؤدب البغاة ان يجير الضعفاء المظلومين ويكشف شر السلطان الظالمين

وقالت جريدة الاخلاص في العدد ١١٠٠

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

نعي الى حضرة وصيفنا المحبوب العالم الكامل المهذب الشيخ رشيد رضا أفندي

صاحب مجلة المنار الغراء والدها الجليل سليل بيت المجد الاثيل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها في طرابلس الشام فكان لنعيه رنة أسف وحزن لا مزيد عليهما لدى كل من عرفه لانه فضلا عن حسبه ونسبه كان رحمه الله من ذوي الغيرة على الفقراء والبائسين مشهوراً بالجود والكرم ومحباً للخير والاعمال الصالحة قضى ستين عاماً من عمره وهو في مقدمة الغيورين على دولته ووطنه ولكن في المدة الاخيرة وشى الواشون بحقه على أثر وفاة المغفور له فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فأهين من رجال حكومة الدولة على ما بلغنا فكانت هذه الاهانة سبباً كبيراً لفقد حياته العزيزة

ولقد ساءنا ويسوءنا وأيم الله كلما سمعنا خبراً كهذا عن رجال دولتنا العلية ومعاملتهم هذه المعاملة لرجال اشتهروا بالغيرة والاخلاص نحو سلطانهم ودولتهم كهذا الفقيد الجليل. وهذه هي الفرص التي ينتهزها الاغيار منا فيحفظونها لنا في سجلاتهم الى أن يجيء اليوم الذي يحاسبوننا فيه عليها.

فيا أيها الرجال الامناء والمخلصون للدولة والجالس على كرسي الخلافة العظمى اتقوا الله وفكروا في ما هو أهم لصوالح الدولة والامة. اخدموا جلالة السلطان باخلاص اللسان والفؤاد وانبذوا الوشايات واتركوا هذه الخطة الذميمة لانها لا تفيدكم المرام وهب انكم نلتموه فسوف تجازون عن عملكم هذا لانه قيل. بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازود) تقربوا الى جلالة المتبوع بطريقة غير هذه الطريقة حتى ان الله تعالى يبارك لكم في أموالكم وعيالكم وينقذكم وينقذهم من شرور الزمان وغدراته وقد كفى ما حل بنا وبدولتنا العلية والامة والوطن من سوء أعمال بعض رجال الدولة الخائنين الذين يتظاهرون بصدق الخدمة نحو المتبوع الاعظم ولكنهم أولى المنافقين. والآن بما ان المجال ليس مجال وعظ وارشاد بل نعي فقيد تأثر لموته الكثيرون فوعدنا بشرحي من هذا القبيل في أعداد قادمة ان شاء الله

هذا وفي الختام نقدم واجبات العزية لجناب زميلنا الفاضل المهذب الغيور الشيخ رشيد رضا أفندي وجميع اخوته أنجال الفقيد والله نسأل أن يفرغ في قلوبهم جميل الصبر والسلوان ويتغمد فقيدهم الجليل بواسع الرحمة والرضوان اه